المقدمة

تمثل الأسطورة رافدًا بالغ الأهمية في تاريخ الحضارات الإنسانية، وبالتالي في تاريخ الفكر البشري، بوصفها فن الإنسان البدائي، الذي هو مزيج من السحر والدين والتاريخ والتأمل والعلم صيغ بأسلوب خيالي، ولم يقتصر تأثير الفكر الأسطوري على الدراسات الاجتماعية فحسب، بل تعداها إلى أنواع الفنون كافة، وكان للأسطورة أثر بالغ في بنية القصيدة العربية المعاصرة، وأصبح توظيف الأسطورة في النص الشعري المعاصر أمرًا غاية في الأهمية، "ولا ريب أن اعتماد الأسطورة القديمة في صياغة العمل الفني، وفي بنائه نهجٌ ثري إذا حمل موقفًا معاصرًا"([1]). من هنا نرى الأديب المعاصر يعود إلى الأسطورة "يحاكيها، يتنفس سحرها، يوظفها، يعيد بناء العالم الذي ينشده بكلمات طقوسها"([2])، إذ قلما نجد شاعرًا عربيًّا معاصرًا – وبخاصة جيل الرواد– إلا وقد أفاد من توظيف الأسطورة، لأنه "على بعد المكان وعلى اختلاف الزمان يلتقي الإنسان بالإنسان عند نسيج الأسطورة المتشابه الموحد ... ومنه يستمد عطرًا لا ينمحي يذكّره بقدرته على الخلق والمحاكاة والإبداع"([3])، فالأسطورة بما تحويه من مضامين و رموز تثري التجربة الشعرية، وتمدها بالدماء، وتبث في عروقها الحياة.

فاستخدام الأسطورة كان ضرورة مهمة بالنسبة للتصميم أو التشكيل الفني للقصيدة المعاصرة، فالأسطورة "من حيث هي تشكيل وطاقة

---

[1] – عبد المنعم تليمة: (مقدمة في نظرية الأدب)، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٧٣، ص٨١.

[2] – عبد الرضا علي: (الأسطورة في شعر السياب)، منشورات وزارة الثقافة والفنون١٩٧٨ الجمهورية العراقية، ص ٢٠.

[3] – فاروق خورشيد: (الأسطورة عند العرب)، مجلة "الدوحة" القطرية، مايو ١٩٧٦.

فكرية وروحية تقدم للشاعر النموذج، والموقف الدرامي، الذي تتجلى فيه عواطفه دون أن تكون سافرة مباشرة، تفقد في هذا السفور والمباشرة إنسانيتها وكليتها"([1]).

ومن ثمّ تحاول هذه الدراسة أن تستكشف الأثر الفني والقيم الجمالية للأسطورة في بناء القصيدة العربية المعاصرة.

حيث تتوجه هذه الدراسة – في ضوء ذلك– إلى محاولة الكشف عن الدوافع التي وجهت الشعراء المعاصرين إلى الاهتمام بالأسطورة، وتوظيفها في أعمالهم الشعرية، والأثر الفني الذي أحدثته الأسطورة في بناء القصيدة العربية المعاصرة.

ومن الأسباب التي شجعتني لاختيار هذا الموضوع ومعالجة هذا الجانب أن هذه الدراسة سوف تفتح العديد من القضايا المتعلقة بالنص المعاصر، سواء تلك التي تتعلق به بوصفه بنية لغوية وشكلاً جديدًا من الكتابة الشعرية، أو تلك التي تربطه بالقارئ والمتلقي عمومًا.

ومع كثرة ما كتب عن الأسطورة وعلاقتها بالشعر العربي، فإنني حينما نظرت في هذه المؤلفات وجدت أنها في معظمها لم تعطِ القدر الكافي من جهدها للجانب التطبيقي والجانب الفني الجمالي؛ فهذه الدراسات كانت تتناول مراحل استخدام الأسطورة في الشعر العربي، وأشكال توظيف الأسطورة في الشعر الحديث.

ومن ثمّ كان الهدف من هذه الدراسة:

أولاً: التأمل في النص الشعري المعاصر والكشف عن مكوناته وأدواته الفنية.

[1] – **محمود الربيعي: (من أوراقي النقدية)، دار غريب القاهرة، ١٩٩٦، ص٣٨،٣٩.**

ثانيًا: استجلاء الجوانب الفنية والقيم الجمالية للأسطورة، ومدى تأثيرها بوصفها وسيلةً فنية وأداة تعبيرية في معمار القصيدة العربية المعاصرة، سواء في مستوى الشكل، أو مستوى البناء التصويري، أو في مستواها اللغوي. فضلاً عمّا يتبع هذا من آثارٍ بلاغية، أو تقنيات فنية معاصرة.

ثالثًا: إزالة بعض الغموض عن النص الشعري نتيجة لاستخدامه للرموز الأسطورية، وتقريبه من القارئ.

رابعًا: تشجيع القارئ على الدخول إلى أعماق النص الشعري المعاصر، وذلك من خلال تزويده ببعض الأدوات الفنية التي تمكنه من ذلك.

ويؤمن الدارس بصعوبة قراءة النص الشعري المعاصر، وسبر أغواره في غياب مثل هذه الدراسات، وذلك بعض غايات هذه الدراسة التي تطمح إلى التأسيس لقراءة جديدة تستحضر السياق دون أن تغض الطرف عن نسقية النص حين يتحول الأسطوري إلى شعري.

وما كان لهذه الدراسة لتنطلق وتشق طريقها دون الاهتداء بالدراسات الرائدة في هذا المجال، وأخص منها تلك التي قدمها كلٌّ من: أسعد رزوق حين تناول (الأسطورة في الشعر المعاصر) متخذًا من ت. س. إليوت نقطة انطلاقه في منهج البحث والدراسة، وقد انتهى إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الأسطورة والشعر من حيث نشأتهما التاريخية.

وأنس داود في دراسته (الأسطورة في الشعر العربي الحديث) التي راح يتتبع فيها ظاهرة توظيف الأسطورة، والمؤثرات الأجنبية في استخدامها في الشعر الحديث: بدءًا من مدرسة الإحياء إلى مدرسة

الشعر الجديد ممثلة في بدر شاكر السياب، وصلاح عبد الصبور، وخليل حاوي وغيرهم.

ودراسة عبد الرضا علي (الأسطورة في شعر السيّاب) التي تناول فيها مراحل توظيف السيّاب للأسطورة، وأشكال هذا التوظيف.

أما المادة العلمية لهذا البحث فمن الممكن تصنيفها على النحو التالي:

أولاً: مجموعة الأعمال الشعرية لشعرائنا المعاصرين الذين شاعت في شعرهم هذه الظاهرة، سواء كانت هذه الأعمال دواوين شعرية أم قصائد منشورة في دوريات.

ثانيًا: الأعمال والدراسات النقدية التي تناولت جوانب من هذه الظاهرة من خلال تناولها لموضوعها الأساسي.

ثالثًا: بعض الكتب النقدية النظرية .

وانطلاقًا من طبيعة الموضوع والغايات التي أسعى من أجل تحقيقها، فقد اخترت منهجًا تكامليًا؛ حيث جاء المنهج التاريخي لرصد هذه الظاهرة والتأريخ لها في الشعر العربي، وعلى المنهج النفسي والمنهجين الاجتماعي والفني؛ لتفسير الدوافع والأسباب وراء استلهام الشعراء للأسطورة وتوظيفها في قصائدهم، وجاء المنهج الفني لتحليل النصوص الشعرية التي قامت باستلهام الأسطورة، وأثرها في البناء الفني للقصيدة محاولاً استخلاص معالم منهج فني لأثر الأسطورة في البناء الفني للقصيدة العربية المعاصرة.

هذا وقد استقامت الدراسة على النسق التالي:

المقدمة: وفيها بيان وافٍ بما تقتضيه المقدمة المتواضع عليها من: تعريف بالموضوع ، وسبب اختياره، ومنهج الدراسة المقترح، وخطة

الدراسة، والجهود التي سبقت الباحث في هذا الصدد، ومدى أوجه الإفادة منها، والصعوبات التي اعترضت طريق الدراسة وكيفية التغلب عليها.

التمهيد:

ويجيء تحت عنوان: " الأسطورة وعلاقتها بالعمل الشعري" ويتناول:

أولاً: مفهوم الأسطورة والعلاقة بينها وبين الخرافة.

ثانيًا: علاقة الأسطورة بالإبداع الشعري، وبخاصة الشعر العربي المعاصر.

بهذا يصبح هذا التمهيد – بمبحثيه السابقين– تمهيدًا لبحث الارتباط الوثيق بين الأسطورة والنص الشعري.

الباب الأول: (الأسطورة .. دوافعها .. وروافدها).. ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: (الأسطورة في الشعر القديم).. وتناولت فيه وجود الأساطير في الشعر العربي القديم، وإلى أي مدى قام باستخدامها؛ للتأصيل لهذه الظاهرة في شعرنا العربي، وليتم ربط حاضر الظاهرة بماضيها.

الفصل الثاني: (دوافع استلهام الشعراء للأسطورة).. وعرضت فيه الدوافع التي أدت إلى لجوء الشاعر إلى الأسطورة، وتوظيفه إياها في التعبير عن تجربته.

الفصل الثالث: (الروافد الأسطورية).. وفيه حاولت رصد المصادر التي استمد منها الشعراء المعاصرون أساطيرهم التي شاع استلهامها في قصائدهم، والتعرف على أكثر الشخصيات الأسطورية توظيفًا في القصيدة العربية المعاصرة.

الباب الثاني : (تكنيكات التوظيف الأسطوري).. وفي هذا الباب عملت على استجلاء الجوانب الفنية والدلالية للأسطورة في بنية القصيدة العربية المعاصرة، ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: (الرمز الأسطوري والتجربة).. وأوضحت فيه أثر الأسطورة باعتبارها عنصرًا فاعلاً في التجربة الشعرية التي يحاول الشاعر أن يعبر عنها، وينقلها إلى المتلقي.

الفصل الثاني: (التوظيف الأسطوري والرؤية الفنية) .. وعرضت فيه الأثر الفني الذي أحدثته الأسطورة في نقل الرؤية الفنية التي أراد الشاعر أن يعبر عنها وطريقة إيصالها إلى المتلقي.

الفصل الثالث: (الأسطورة وتشكيل الصورة) .. وأوضحت فيه دور الأسطورة في تشكيل الصورة الشعرية، والتعرف على خصائص هذه الصور التي تعتمد على الأسطورة وعالمها في بنائها ومنهجها.

الفصل الرابع: (التشكيل اللغوي والتعبير).. وتناولت فيه أثر الأسطورة في تشكيل البنية الأسلوبية للقصيدة العربية المعاصرة، وما تميز به معجمها اللغوي.

الخاتمة: وقد أوردت بها أهم معالم الدراسة ونتائجها.

وبعد.. فهذا ما استطعت تحقيقه في هذه الدراسة، ويعلم الله أني لم أدخر وسعًا، ولم آل جهدًا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وما كان لهذه الدارسة أن تخرج على هذه الصورة، لولا جهود **الأستاذين الجليلين: أ.د/ نبيل رشاد نوفل، والدكتور/ يحيي خاطر**، فقد شرُفتُ بهما مشرفين، وشرُفَتْ هذه الدراسة بإشرافهما، فقد غمراني بفضلهما وغزارة علمهما، ومنحاني من وقتهما وجهدهما وعلمهما الكثير، ومهما قلت فلن أوفيَهما حقهما، فذاك أمرٌ يكبر عن طاقة القول، ويعجز عنه

البيان، فجزاهما الله عني وعن طلابهما ومتلقي علمهما خير الجزاء، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث/ ممدوح قبيصي فرج صالحين